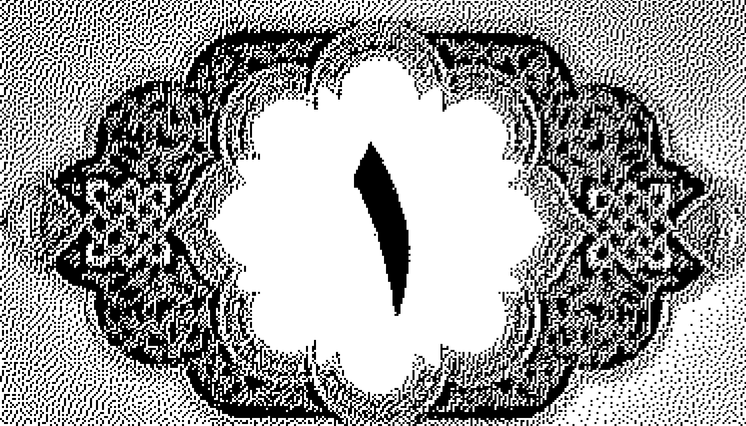
سلسلة الفتوحات الإسلامية

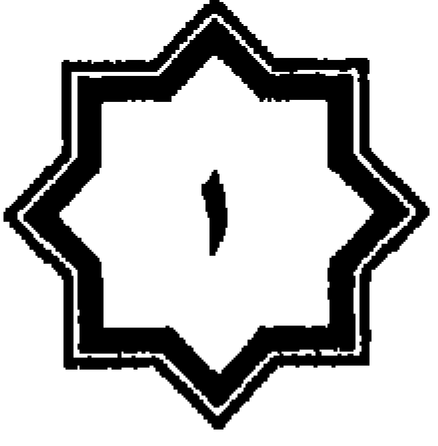
موقعة اليمامة

محمد ثابت توفيق



مكتبة العبيكان

سلسلة الفتوحات الإسلامية



موقعة اليمامة

بقلم

محمد ثابت توفيق

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

موقعة اليمامة. ـ الرياض.

٤٠ص ؛ ١٧× ٢٢سم (سلسلة الفتوحات الإسلامية ؛ ١٤)

ردمك : ٢ -٩١٧-٢٠-٩٩٦٠

١ ـ حروب الردة ٢ـ معركة اليمامة أ ـ العنوان

ب ـ السلسلة

ديوي ٩٥٣،٠٢٢ ٢٢/٠٩٧٢

ردمك: ٢-٩١٧-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/٠٩٧٢

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

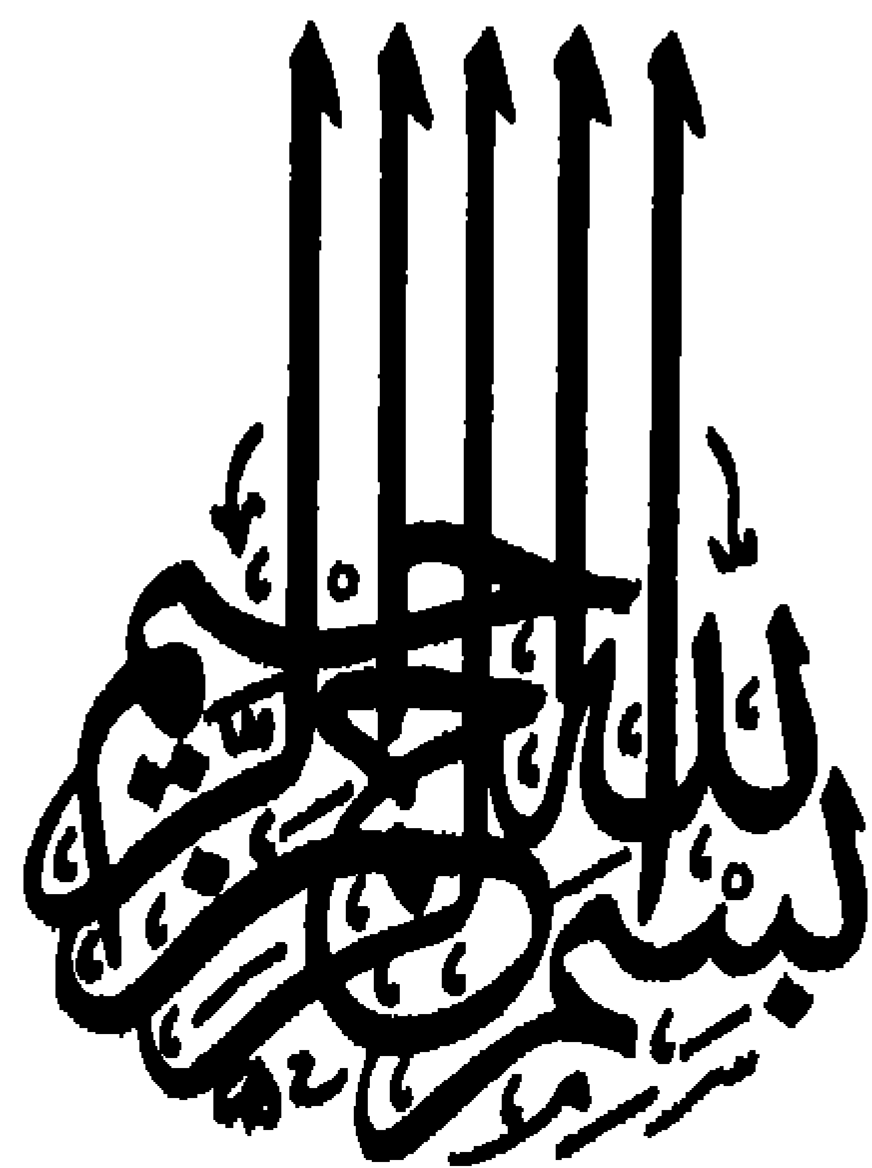
الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩



الفصل الأول

عام الوفود

قدوم "وفد اليمامة" علىٰ الرسول:

من الجماعات التي جاءتْ إلى الرّسول ﷺ معلنة إسلامها ودخولها في دين الله وفدٌ من أهل اليمامة، وهم سكان حي من أحياء العرب يُعرفونَ بـ «بني ضيفة»، وحين أرادوا الدخول علىٰ الرسول ﷺ أبقوا رجلاً منهم اسمه مسيلمة بن ثمامة ليحرس الدواب التي حملتهم، والأمتعة التي جاؤوا بها.

ودخل القوم على الرسول ﷺ فأعلنوا إسلامهم، ثم قالوا له:

« يا رسول الله، إنَّا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركائبنا يحفظها لنا ».

فأجابهم الرسول ﷺ:

«أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً»(١).

إنّه الرسول ﷺ يحرص علىٰ تكريم الناس ومراعاتهم، لذلك يخبرهم بأن مسيلمة بفعلته هذه، وبرغبته الحفاظ علىٰ دوابهم، ومتاعهم، وتخلفه

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ جـ٥ ص٥١ ـ طبعة مطبعة السعادة.

لأجل هذا عن الدخول علىٰ الرسول ﷺ وإعلان إسلامه أمامه.. ليس بشرِّهم في المكان.

قال الرسول ﷺ هذه الكلمات العظيمات بعدما أمر مسيلمة بمثل ما أمر به لبني حنيفة الذين دخلوا عليه، وهو كرم عظيم منه، وهكذا خرج أصحابه إليه، فأخبروه بأنهم ذكروه أمام الرسول ﷺ، وأعلموه بجوابه علىٰ كلماتهم، وأعطوه نصيبه من الشيء الذي أعطاه لهم الرسول ﷺ.

سوء فهم مسيلمة للإسلام:

كان مسيلمة مشهوراً في قومه بأمور الشعوذة، إذ كان يُدخل البيضة في الزجاجة! ويدعي أنه يقص جناح الطائر ثم يوصله بجسده مرة أخرىٰ، وكان يقول عن نفسه أيضاً: إن ظبية تجيء إليه من الجبل، فيحلب لبناً منها(١).

وحينما جاء مسيلمة إلىٰ الرسول ﷺ لم يدخل عليه، ولكنه شاهد اجتماع العرب حوله، ولم يستوعب عقله الضعيف الإسلام، فلم يفهم أن المكانة العالية التي وصل إليها الرسول ﷺ إنما هي بفضل طاعته لله، وعمله علىٰ نشر دعوته، وأنها ليست دعوة شخص، أو حرص على مكانة في الحياة الدنيا، فلا ملكُ الأرض، ولا السيادة عليها، ولا التحكم في أهلها كان من أهداف دعوته ﷺ.

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ٥– ص٥٠.

ولذلك جاءت الدُّنيا إلى الرسول ﷺ و أصحابه الكرام رضي الله عنهم جاءتهمْ تسعىٰ، فما شغلتهم عن دينهم، ولا عن هدفهم الأسمىٰ وهو دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، أما مسيلمة، فلقد فهم فهماً خاطئاً أضاع عليه دنياه وآخرته.

ادعاء مسيلمة النبوة:

فور عودة بني حنيفة إلىٰ اليمامة ارتد مسيلمة، أي: عاد كافراً، ولم يكتف بهذا، وإنما ادعىٰ النّبوة، وبدأ يكذب ويقول: إنه قد أُشرِكَ في الأمر - الرسالة - مع الرّسول ﷺ - أي: بُعِث مَعه - ورغم أنَّ مُسيلمة لم يدعُ النّاسَ من قبل إلىٰ الإسلام، ولم يُعذَّبْ، ولم يقاتل المشركينَ، ولم يهاجرْ من دياره، ولم يعانِ في سبيل الإسلام و نشر دعوة الله مثلما عانىٰ الرّسول ﷺ وأصحابه الكرام، إلا أنه لم يستحي من إعلان ذلك.

وحينَ أراد أنْ يثبتَ صحة كلامه قال للوفد الذي ذهب وقابل الرّسول ﷺ:

ألم يقلْ لكم رسولُ اللهِ ﷺ حيثُ ذكرتموني: «**أما إنّه ليس بِشرّكم مكاناً**»! . ما ذلك إلا لما كانَ يعلم أنّي قد أُشركتُ معه[١].

(١) تاريخ الطبري - جـ٣ - ص١٣٨ - طبعة دار المعارف.

مسيلمة يقلد القرآن:

ولم يتوقفْ مسيلمة الكذاب عند هذا الحدِّ فقط، حدّ إدعاء النّبوة، وتزييف القول من أجل إثبات ذلك، بل الادعاء علىٰ الرسول ﷺ بما لم يقصده - ﷺ- ، بل راح يقلد القرآن الكريم، فتسجع السجعات، أي يجيء بكلمات لا معنىٰ لها، ويحاول أن يجمع معانٍ سيئة تتشابه حروفها الأخيرة، ثم يدعي أنها قرآن اختصه الله به، نعم ادعىٰ مُسيلمة هذا الادعاء؛ لأنه يُريد أن يثبت لقومه أنّه نبيٌّ، وكيف يمكنه أن يكونَ نبياً بلا معجزة؟! وكان مما قاله - لعنه الله - على أنه مشابهة للقرآن:

«لقد أنعم الله على الحُبلىٰ، أخرج منها نسمة تَسْعى، من بين صفارق - وهو الشيء الخارج من البطن - وحشي»[1].

وهي كلمات شديدة القُبح لا تدلُ علىٰ معنىٰ، ولا تقاربُ بأي حالٍ عظيمَ وجميلَ آي القرآن العظيم.

خطاب مسيلمة الكذاب إلى الرسول ﷺ:

وفي العام العاشر من هجرة الرَّسولُ ﷺ، كان أمر مسيلمة قد اشتهر في قومِهِ إذ إنّهم أطاعوه بعدما أحَلَّ لهم شُرب الخمر، والزّنا، وأيضاً أجاز لهم ترك الصلاة، والغريب أنّه - مع كُلِّ هذا - قد شهد للرَّسول ﷺ بأنّه نبيٌّ[2].

(١) سيرة ابن هشام - جـ٤ - ص١٦٥.

(٢) تاريخ الطبري جـ٣ - ص ١٣٨.

وَزَينتْ نفسُ مسيلمة له أنَّه نبيٌّ، وأنَّ الرسولَ ﷺ قد أخذ حقه من الأرض، فَنفسُه المريضة أخبرتْهُ أنّهما نبيّان، فينبغي أنَّ يكون لكلٍ واحدٍ منهما نصفُ الأرضِ، فأرسل رسولين من قومه برِسالةٍ إلىَ الرّسولِ ﷺ، جاء فيها:

«من مسيلمة رسول الله إلى مُحمّد رسولِ الله. سلامٌ عليك؛ فإنّي قدْ أُشركتُ في الأمر معك؛ وإنَّ لنا نِصْفَ الأرض ولقريش نِصْف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون».

الرسول ﷺ يرد على رسالة مسيلمة:

والتفت الرسول ﷺ إلى الرسولين فقال لهما:

فما تقولان أنتما؟

فقالا:

«نقول كما قال».

إنّهما يعترفان بكفرهما، ويردان ببجاحة إنّهما يقولان مثلما يقول مسيلمة. فأجابهما الرسول ﷺ:

«أمّا والله لولا أنَّ الرُّسُل لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما».

فأمر النبي ﷺ بكتابة ردٍّ على رسالة مسيلمة جاء فيها: «**بسم الله**

الرحمن الرحيم. من مُحمّد رسول الله إلى مُسيلمة الكذاب: سَلامٌ علىٰ مَنْ اتَّبع الهدى، أما بعد، فإنَّ الأرض لله يورثها مَنْ يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[1].

تعدد المرتدين في آخر حياة الرسول ﷺ:

كان الإسلام جديداً على نفوس العرب المقيمين في شبه الجزيرة العربية، غير القريبين من الرسول ﷺ؛ لذلك كان إيمان بعضهم ضعيفاً، وكان ذلك راجعًا إلىٰ سرعة تفلت نفوسهم، وتعودهم الحياة بلا مبدأ أو دين، لذلك أَسرع الأسود العنسي في اليمن و طُليحة في بني أسد، زيادة على مسيلمة أسرع الأسود وطليحة بالارتداد، والسيطرة على قوميهما فور علمهما بمرض الرسول ﷺ، بينما لم نسمع عن أحدٍ من المسلمين قد ارتد في مكة أو المدينة المنورة أو إحدى البلاد القريبة منهما؛ ذلك لأن هؤلاء قد عرفوا الإسلام معرفة حقيقية، ولقد تمكن في نفوسهم لعلمهم أنه رسالة ربٍّ العالمين، بينما كان هؤلاء المرتدون من الذين ظلموا أنفسهم بعدم قدرتهم علىٰ الفهم الصحيح لتغاليم الإسلام.

رؤيا الرسول ﷺ في أمر مسيلمة والأسود:

وفي آخر أيامه -ﷺ- كان قد أمر بجيش لتأديب الروم، وأمر أن يقوده

(١) تاريخ الطبري -جـ٣- ص١٤٦.

أسامه بن زيد، ولأنه كان شاباً ، وفي الجيش مَنْ هُم أكبر سناً منه، فلقد اعترض بعض الصحابة، ونام الرسول في بيت عائشة، فرأى في منامه رؤيا، ذكرها فقال ﷺ : **«إنَّ في عضديّ سوارين من ذهب، فكرهتُهما فنفختُهما، فطارا»**.

ولقد فسّر الرّسول ﷺ بنفسه هذه الرؤيا على أنها مسيلمة الذي يدعي النبوة، والأسود العنسي، اللذان يطلبان متاع الدنيا الذي يكرهه الرسول ﷺ.

ثم شدد الرسول ﷺ على ضرورة إرسال جيش أسامة.

الرسول ﷺ يبدأ الحرب مع المرتدين:

ورغم مرضه الشديد – ﷺ– ولقد كان مرض الموت، وإحساسه بالألم، وبرغم انشغاله في تجهيز جيش أسامة بن زيد لمحاربة الروم الذين أغاروا على حدود الدولة الإسلامية من جهة الشمال، إلا أنَّه لم يتمهل عندما وصلته أخبارُ المرتدين، وأولئك الذين يدعون النبوة، ورغم كثرة مشاغله ومرضه إلا أنَّه أعلن الحرب عليهم، لأنّه يعلم عظيم ضررهم، فهم يصيبون الأُمة إصابة خطيرة بكذبهم وافترائهم على الله، ويصرفون النّاس عند عبادة الله والعمل الصالح بكذبهم، وفي اتباع قليلي العقل والإيمان ضياع لهم في الدنيا والآخرة.

حروب الرسل:

ولما كان المسلمون منشغلين بالانضمام إلى جيش أسامة فلقد بدأ الرسول ﷺ في محاربة المرتدين بطريقة جميلة تدل على عبقريته الحربية ﷺ، إذ إنه كلف رجالاً يعرف فيهم حسن الإسلام، والصدق مع الله من بني تميم و قيس، وهما قبيلتان من القبائل التي ظهر فيها المرتدون –، أمرهما بقتال من ارتد، فما كان من هؤلاء المسلمين الصالحين إلا أنْ أطاعوا أمر الرّسول ﷺ.

الفصل الثاني
حال العرب بعد وفاة الرسول ﷺ

أحوال العرب بعد وفاة الرسول ﷺ:

لما توفي رسول الله ﷺ ارتد العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المَطِيْرة في الليلة الشاتية؛ لِفقد نبيهم ﷺ حتىٰ جمعهم الله علىٰ أبي بكر.

كانت هذه كلمات السيدة عائشة في وصف حال العرب عندما توفي رسول الله ﷺ، إذ كثر المرتدون حتىٰ إنهم ظهروا في أطراف المدينة المنورة النائية، فلقد كانوا يظنون أن الرسول ﷺ لا يموت، وإن كان يموت فلا ينبغي أن يموت بهذه السرعة، ونسوا أنه بشر يتوفاه الله كما يتوفىٰ الناس.

هذا عن بعض أهالي المدينة أما الداخلون في الإسلام من وقت قريب، فلم يتمكن الإيمان في قلوبهم لذلك ارتد كثيرون منهم، فلقد اشتعلت نيران الردة في العرب وزاد عدد مدعي النبوة، فإن يك الأسود العنسي وطليحة قد جاء ذكرهما وادعيا النبوة قبل وفاة الرسول ﷺ، فلقد زاد عليهم أن ادعَت امرأة – اسمها سَجَاح – النبوة هي الأخرىٰ، وكانت تقيم في بني تغلب، وكذلك ظهر رجل اسمه مالك، وآخر اسمه وكيع، وكان أخطر مدعي النبوة جميعاً مسيلمة الكذاب، لقد وجد أبو بكر نفسه أمام

جيوش لا تتفاهم بمنطق العقل، بل ترفع السيف، وعليه أن ينفذ أمر الرسول ﷺ بتسيير جيش أسامة بن زيد، وكيف يفعل والمرتدون قد اقتربوا من المدينة، وصاروا يحاصرونها في مكان يسمىٰ ذي القصة؟ فماذا يفعل الخليفة الجديد أبو بكر؟.

لقد أعلنها واضحة ، إنَّه لن يحيدَ عن أمر الله، ووصية رسوله ﷺ مهما جرى، ومهما تكاثر المرتدون عليه، حتى لو بقي وحده، لأنه يعلم أنه لن يكون بمفرده قط، فإنَّ الله – عز وجل– بقوته معه، لذلك أنفذ أبو بكر جيش أسامة وأعلنها حرباً شاملة على المرتدين، فنصر الله جيش أسامة، واستطاع أبو بكر تفريق المرتدين الذين يهاجمون المدينة في ذي القصة، ولما علمت العرب بصدق رغبة أبي بكر في الدفاع عن دين الله صارت ترعبهم كلمة خيل أبي بكر تلك القادمة لحرب المرتدين؛ لأنها لا تحمل إلا الموت لهم، هكذا استطاع إيمان أبي بكر أن يحفظ المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ كما قال عبد الله بن مسعود(١).

مسيلمة الكذاب أخطر المرتدين:

وبقي أن أخطر المرتدين؛ وأكثرهم قدرة على تجميع الناس حوله مسيلمة الكذاب، ذلك أن أمراً عجيباً قد حدث معه؛ فالرحال بن عنفوة ذلك الرجل

(١) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد– ص٨٢، ص٨٣، ص٨٤ ، طبعة دار الفكر.

الذي مـرَّ به الرســول ﷺ وهو يقـرأ القـرآن الكريم مع أبي هريرة، وأحـد الصحابة، فقال الرسول ﷺ عن واحد منهم:

«أحدكم ضرسه في النار مثل أحد».

وتحقـقت كلمات الرسـول ﷺ بعـد أن بقي أبوهريرة والصحابي الآخـر خائفين، قلقين – لشدة إيمانهما– أن يكون أحدهما هو المقصود.

أما الرحال فإنّه قد ارتد عن الإسلام، وكفر بعد إيمانه، وشهد زوراً أنَّ الرسول ﷺ قد شهد بالرسالة لمسيلمة، وذكر شيئاً مما كان يحفظه من القرآن، فادعىٰ مسيلمة أنه قد أُنزِلَ عليه، فحدثتْ بين الناس فتنة عظيمة، وارتد الكثيرون من بني حنيفة[1].

زواج مسيلمة الكذاب من سجاح:

كذلك كان من العوامل التي زادت من قوة مسيلمة الكذاب أنَّ امرأة في بني تغلب قد تنبأت، وكان اسمها سجاح، ولم تكتفِ بذلك، بل اجتمعت مع غيرها من المرتدين، فالتقت بقادتهم: وكيع و مالك؛ واتفقوا على الوقوف إلى جانب بعضهم، وأخذوا يقاتلون غيرهم من القبائل، وادعت سجاح أن قرآنًا أُنزِلَ عليها يأمرهم بهذه الحرب، فلما هُزمتْ، أخذ الذين ناصروها يستهزئون بها، بكلماتها، وهُزم مالك ووكيع فكفوا عن ادعاء

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – ص ٥١ – ص٥.

النبوة، غير أنها تحالفت مع غيرهما – رغم وضوح كذب سجاح –، ولما اجتمعوا بها مرة أخرى، وقالوا لها:

«ما تأمريننا، فقد صالح مالك ووكيع قومهما، فلا ينصروننا ولا يزيدوننا على أن نجوز – أي: نعبر في أرضهم – » فقالت:

«اليمامة».

إنهم يطلبون منها المشورة، بعد أن انتهى تحالفها القديم مع مالك ووكيع بأن صالحوا بعد الهزيمة، فأشارت عليهم بغزو اليمامة، ومن العجيب أنهم سألوها:

إنَّ شوكة أهل اليمامة شديدة، وقد غلُظ أمر مسيْلمة[1].

فقالت لهم:

«عليكم باليمامة؛ ودفُّوا دخيف الحمامة، فإنها غزوة صَرّامة، لا يلحقكم بعدها ملامة».

إنها تدعي أن هذه الكلمات قرآناً، وفيها تامرهم بالذهاب إلى اليمامة، ومحاربة مسيلمة الكذاب، وتتنبأ بأن غزوة شديدة ستكون بينهم، وبعدها سينتصرون، ولن يندموا، والعجيب أن الذين تحالفوا معها لم يكونوايسألون

(١) تاريخ الطبري – جـ٣– ص٢٧١.

عن الهدف من مثل هذه الحرب المنتظرة، أهي السيادة؟ أم ملك الأرض؟ لقد كانوا يحاربون من أجل الحرب، فسجاح مدعية النبوة تريد أن تحارب مسيلمة الذي سبقها إلى ذلك كي تتحكم في قوته وقبيلته، والأعجب أن المتحالفين معها يعلمون أنها لا تستطيع الانتصار عليه، فكيف بهم إذا قابلوا قبائل العرب جميعاً؟ وماذا لو لاقوا المسلمين؟ إنهم جميعاً لا يعلمون أن الحرب للحرب غاية قذرة لا تستحق أن يعرض الإنسان من أجلها نفسه للموت، إنهم لا يفهمون أن الإسلام ما انتشر وساد الأرض إلا لأن المسلمين الذين نشروه إنما حاربوا من أجل هدف عظيم، ومبدأ عالٍ، هو نشر نور الله في أرضه، وأنهم ما خروجوا محاربين، وإنما مدوا يد السلم فمن رفض فلقد أجبرهم على محاربته. حتى المرتدين؛ كان أبو بكر الخليفة يوصي بأن تقرأ كلماته علىٰ مسامعهم قبل الحرب، وفيها يدعوهم إلىٰ ترك السلاح، ويذكرهم بأن الرسول ﷺ بشر من خلق الله، ورغم عظم رسالته، ومكانته إلا أنه يجري عليه ما يجري على البشر، فإن مات، فإن دين الله باقٍ.

كذب نبوة سجاح:

ولكن مسيلمة لما سمع بخبرها، وخبر ما قالت للمتحالفين معها خاف إن حاربها أن تجتمع عليه قوتها، وقوة القبائل الأخرى، مع قوة المسلمين، فعمل على الصلح معها، وبالفعل طلب لقاءها، فقرأ عليها من القرآن الذي

يدعي أنه أُنزِلَ إليه، وقرأت عليه من القرآن الذي أُنزل عليها، وكلاهما يعرف أنَّه كاذب، وأن الآخر كذلك، ثم جرت بينهما أمور مُنكرة، وهما يريان أنهما نبيّان.

وحينما عادتْ سجاح إلى قومها أخبرتهم أنها قد صالحت مسيلمة، بل تزوجته، وهكذا كذبت نبوءتها التي قالت فيها إنهم سيحاربونهم، وينتصرون عليهم، ولكن قومها كانوا غير منتبهين، فلم يسألوها إلا سؤالاً واحداً:

« فهل أَصْدَقَكِ شيئاً؟ »

لا يهمهم سوىٰ الهدية أو المال الذي أخذته مقابل هذا الزواج المزعوم، فأجابت:

« لا »!.

فقالوا:

« ارجعي إليه، فقبيحٌ بمثلك أن ترجع بغير صَدَاق؟ ».

فلما عادتْ إلىٰ مسيلمة وأخبرته برغبة قومها جعل صداقها شيئاً شديد العجب، إذ إنه لم يكلف نفسه، ولم يعطها شيئاً، بل جعل لها:

« وضع صلاتين ممَّا أتاكم به محمد: صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر ».

وياله من صَداق! فلقد تصدق مَنْ لا يملك - مسيلمة الكذاب - على أتباع سجاح الكاذبة بما لا يملك، بأن جعل هديته إليها، وإليهم ترك صلاتين من الصلوات التي أمر بها الله عز وجل، فياله من تخبط لا يدل إلا على رغبة هذا الرجل في الخروج عن دين الله، وعمل ما تأمره به نفسه وشهوته فقط، وهو لا يكتفي بذلك بل يريده للناس أيضاً، ويدعي بعدها أنه رسول! فياله من رجل كاذب!.

الصلح بين مسيلمة الكذاب و سجاح:

وتمَّ الصلح بين مسيلمة الكذاب وبين سجاح على أن يعطيها نصف غلات محصول اليمامة كل عام، وأرادت أن تأخذ محصول السنة القادمة، فأعطاها نصفه، وأمرها بالعودة، على أن يأخذ بعض أتباعها النصف الآخر(١).

وهكذا زاد خطر مسيلمة الكذاب بما فعله الرحال الذي أرسله أبو بكر ليعيد أهل اليمامة، فكان أن ارتد مع مسيلمة، فقوَّى من موقفه؛ وكذلك أُضيفت إليه قوة سجاح التي كان من المفترض أن تحاربه، لولا قبولها الصلح وعودتها، إلا أن بعض رجالها لديه ينتظرون أن يأخذوا من المحصول بعد حصاده(٢).

واستطاع المسلمون بقيادة خالد بن الوليد التغلب على المرتدين في

---

(١) تاريخ الطبري - جـ٣- ص٢٧١ إلى ص ٢٧٤.
(٢) البداية والنهاية - ابن كثير - جـ٥- ص٥١.

طريقهم إلى مسيلمة، فهزموهم في «أسد» و«غطفان» و«طيء» و«هوازن» حتى في «البطاح» الأقرب إلى بني حنيفة قبيلةِ مسيلمة الكذاب حيث أوقف خالد خطر المرتدين، وبقي خطر مسيلمة قائماً في اليمامة.

الفصل الثالث

مواجهة حاسمة

أبو بكر يُسيِّر جيشاً لمواجهة مسيلمة:

واستمرت حروب الردة، وحان دور بني حنيفة وهم أكبر عدد للمرتدين، وأكبر قوة يمكن للمسلمين أن يواجهوها، لكثرة الملتفين حول مسيلمة الكذاب بعدما خان الرحال ذلك الذي أرسله أبو بكر في بداية الرّدة ليعيد بني حنيفة إلى الصواب، فما كان منه إلا أن يشهد مع مُسيلمة زُوراً بأنه رسول، وكذلك شهد للتحالف الذي كان بين مسيلمة و سجاح مدعية النبوة.

إلا أن كل ذلك لم يكن يحول دون أبي بكر ودون قراره الحاسم بمحاربة المرتدين جميعاً حتى يعودوا إلى الإسلام، أو أن ينفذ فيهم حكم الله العادل بالقتل، ولذلك أمر – رضي الله عنه – أن يسير إليهم عكرمة بن أبي جهل بجيشه، لكن الخليفة الذي يعرف كثرة عدد أتباع مسيلمة المستعدين للحرب – فهم يقدَّرون بـ « أربعين ألف محارب » – قدر خطورة الموقف فأصدر قراراً واضحاً، ألا يدخل عكرمة معهم في حرب حتى يأتيه المدد.

لكن عكرمة استعجل النصر، وظن أن الأمر سهل، ودخل في حرب معهم.

هزيمة جيش عكرمة:

وحدث ما كان يخشاه أبو بكر إذ هُزِمَ جيش المسلمين أمام كثرة عدد بني حنيفة، فأسرع أبو بكر بإرسال جيشٍ آخر بقيادة شرحبيل بن حسْنة، وهو الذي علم بقدومه مسيلمة أثناء مفاوضاته مع سجاح فأسرع بالصلح معها، ورغم أن أبا بكر قد قرر على مسامع شرحبيل نفس الوصية السابقة، وهي ألا يدخلَ مع مسيلمة وقومه في حرب قبل أن يرسل إليه جيشاً يساعده.

شرحبيل يقع في نفس خطأ عكرمة:

إلا أن شرحبيل قرر نفس الأمر، ودخل مع بني حنيفة في حرب، فهُزِمَ جيشه، وهكذ هُزِمَ المسلمون مرتين أمام أهل اليمامة، فلم يكن أمام الخليفة الصامد أبو بكر إلا اختيار واحد هو..

أبو بكر يأمر خالد بن الوليد بالتوجه إلى اليمامة:

وكان لابد للبطل القوي الجَسُور خالد بن الوليد أن يتدخل، فهذا الصحابي فارس تربىٰ على الفروسية ومنازلة الأبطال؛ ولذلك ما دخل معركة قط وهُزِمَ فيها.

وكان مسيلمة الكذاب قد سمع عن خالد، فهو الذي هزم طليحة مدعي النبوة في البطاح وقتل أخاه، وجعله يهرب وزوجته إلى الشام، وهو

الذي هزم مالك بن نويرة، وقتله[1]. وعندما سمع مسيلمة بأن خالد بن الوليد سيقود جيش المسلمين ازداد عناده.

مسيلمة الكذاب يستعد لمحاربة خالد:

واستعد مسيلمة للحرب بأن جمع أهل اليمامة وحشدهم في مكان يسمى «عقرباء»، وكان ذلك المكان في طرف اليمامة؛ وجعل الريف وراء ظهورهم، فأخذ الناس يُقبلون عليه مستعدين لمحاربة المسلمين، وهم على افتتانهم به لا يزالون، وأمر رجلاً يسمىٰ المحكم بن طفيل وكذلك الرّحال بن عنفوة أن يقف أحدهما في ميمنة الجيش والآخر عند مسيرته، وكان مسيلمة يظن في نفسه القدرة على مفاجاة خالد كما كان قد فعل مع عكرمة و شرحبيل من قبل.

ذكاء خالد:

لم يكن مسيلمة يفهم جيداً مَنْ سيحارب في المعركة القادمة، نعم لقد سمع عن خالد بن الوليد، ولكنه لم يذق حدة سيفه بعد، وأسرع خالد بتنظيم جيشه، ورغم أنه كان يتكون من عدد من الأنصار بقيادة: ثابت بن قيس و البراء بن مالك وعدد آخر من المهاجرين بقيادة: أبي حذيفة وزيد بن الخطاب، وكذلك كان في الجيش عدد من القبائل، كل قبيلة يقودها رجل

(١) خالد بن الوليد – محمد علي قطب – دار الدعوة – ص ٣٠.

من المسلمين[1] إلا أن الجيش كان متماسكاً يطيع أوامر القائد العام خالد الذي أمر بجعل زيد بن الخطاب وأبي حذيفة أحدهما في ميمنة الجيش، والآخر في ميسرته، ذلك لما يعرفه عنهما من قوتهما وشجاعتهما، وحسن تحملهما، وكذلك جعل خالداً المخزومي في مقدمة الجيش.

خالد الشجاع يبدأ المعركة:

أما عن خالد القائد الشجاع المغوار، فإنه - بعد أن نظم جيشه، وأعد العدة - أخذ شرحبيل وسار في الليل، حتىٰ إذا كان قريباً من جيش مسيلمة شاهد بين أربعين وستين فارساً راجعين، فأسرع بالهجوم عليهم، وحينما سألهم عن المكان الذي كانوا فيه، اتضح له أن قائدهم ويُدعى مجاعة بن مرارة كان له ثأر في قبيلة مجاورة تسمى بني تميم وأخرى تُدعى بني عامر، لذلك ترك جيش مسيلمة في هذا الوقت العصيب، وذهب ليأخذ بثأره، وهو عائد لا يعرف عن أمر استعداد قومه للحرب شيئاً!.

وتنفيذاً لتوجيهات أبي بكر فلقد سألهم خالد عما يقولون في مسيلمة فقالوا بأنه نبي، وبذلك أعلنوا ارتدادهم عن الإسلام، فقتلهم جميعاً ما عدا مجاعة فإنه تركه؛ لأنه يعلم أنه سيحتاجه في الحرب القادمة، لأهميته لدى قومه[2].

(١) خالد بن الوليد - محمد علي قطب - دار الدعوة- ص ٣٠.

(٢) البداية والنهاية- ابن كثير - ج٦- ص ١٤.

وبدلاً من أن ينتظر خالد قدوم بني حنيفة أسرع هو إليهم، فنزل في عقرباء على كثيب مرتفع يطل على اليمامة، فلما سمع مسيلمة بخروجه، خرج في جنده ومعه الرَّحال.

حماسة أهل اليمامة:

وأراد مسيلمة تحميس جيشه لقتال المسلمين، فأمر رجلاً اسمه شرحبيل ابن مُسيلمة أن يخطب فيهم فقال:

« يا بني حنيفة، اليومُ يومُ الغَيْرة، اليوم إن هُزمتهم تُستردَفُ النساء سبيَّات – أي: أسيرات –، ويُنْكَحْن غير خطيبات، فقاتلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم».

أما عن المسلمين فقد جعلوا راية المهاجرين – وهي العَلَمُ الذي يتخذه الجيش شعاراً له، ويظل ارتفاعه دليلاً على صمود الجيش، ويبقىٰ في النهاية دليل نصر – لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكانت الراية مع سالم مولىٰ أبي حذيفة، فقال الصحابة له:

« تخشى علينا من نفسك شيئاً؟!».

إنهم يعلمون شدة، وقوة المعركة القادمة؛ لذا يسألونه، وهو الذي سيكون دليل صمودهم؛ هل هو مستعد، أم يخاف على المسلمين من نفسه ضعفاً، فيجيب بثبات المؤمن:

« بئس حامل القرآن أنا إذن » .

ما أحلاه من رد، وهل يخاف حافظ كلام الله من عدد، وفي قلبه القرآن الكريم؟

أما راية الأنصار فقد كانت مع ثابت بن قيس بن شماس، ولكل قبيلة بعد ذلك رايتها، وكان مجاعة الأسير، مع زوج خالد في الخيمة مقيد لا يستطيع التحرك .

مقتل الرحّال:

وبدأت المعركة بين الفريقين قوية شديدة، وكان أول مَنْ قابل المسلمين الرحال بن عنفوة ذلك المرتد الكافر، الذي شهد زوراً مع مسيلمة الكذاب وكأن الله قد أسرع له بالجزاء، فقُتِلَ على يد زيد بن الخطاب .

واشتدت المعركة، حتى إن المسلمين لم يروا حرباً مثلها من قبل، واشتد صوت السيوف، وعلت أصوات الرجال، ما بين ضارب، ومقتول يصرخ، وتطايرت الدماء، وتناثرت جثث القتلى، وتوزعت الأشلاء « بقايا الميت » .

ونظر المسلمون حولهم، فإذا هم مهزومون، وإذا ببني حنيفة وقد انتصروا عليهم، حتى لقد دخل المرتدون خيمة خالد القائد، وهموا بقتل زوجه، بعد ما أطلقوا مجاعة الأسير ، فأعلن حمايته لها، وأوصاهم بقتل الرجال(١) .

(١) تاريخ الطبري جـ٣، ص ٢٨٩ .

الفصل الرابع
موقف شديد القسوة

ثبات المؤمنين

رأينا كيف أن النصر قد جاء في صف بني حنيفة في بداية المعركة؛ ذلك لأنه يروى أنهم قاتلوا قتالاً شديداً لم تعرفه العرب من قبل، فانتصروا على المسلمين في بداية موقعة اليمامة؛ فماذا كان رد فعل صحابة رسول الله ﷺ في هذا اليوم؟ تعالوا بنا نرىٰ مواقفهم العظيمة في نصرة دين الله، تعالوا نشاهد أحداث يوم عظيم، خلّده التاريخ بعظيم فِعال المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

موقف حامل لواء الأنصار:

أقبل المسلمون علىٰ بعضهم يدعون بعضهم بعضًا إلى الثبات في الميدان، وكان النداء الذي يتواصون به:

«يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم»[1].

إشارة منهم إلى الآية التي تتحدث عن هاروت و ماروت وكيف أنهما كانا يُعلّمان الناس السحر، وكان ذلك بإذن الله؛ ولكن هذا السحر لا يجوز

(١) البداية والنهاية – ابن كثير –جـ٥– ص٣٢٤.

اليوم علىٰ أتباع محمد ﷺ، وأخذ كل صحابي يصابر ويثبت، يريد أن يُرِيَ الله في هذا اليوم الشديد القسوة موقفاً يرضىٰ به عنه، فها هم أتباع محمد ﷺ، وفيهم حامل راية الأنصار ثابت بن قيس الذي يروىٰ عنه أنه قد حفر لقدميه – من شدة ثباته – مكاناً في الرمل إلى أنصاف ساقيه حتى لا يهتز، ولا تسقط الراية من يده، وكان مما قاله:

« يا معشرَ المسلمين، أنتم حزب الله، وهم أحزاب الشيطان، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه؛ أروني كما أريكم ».

يُذكرهم بكلمات مضيئة؛ بأنهم هم المسلمون؛ الفئة التي علىٰ الحق، أما هؤلاء؛ ففئات مختلفة هم جميعاً على الباطل. وهو لا يكتفي بحماسته، ورغبته في الشهادة، وإنما يريد من جميع المسلمين أن يكونوا مثله، ثم أسرع فدخل في صفوف الأعداء، وتجاوزهم حتى استشهد في سبيل الله.

موقف المهاجرين:

ولم يكن صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين أقل ثباتاً من إخوانهم الأنصار، وروى لنا التاريخ مواقف عظيمة منها موقف زيد بن الخطاب الذي قال في وضوح:

« لا والله، لا أتكلم اليوم حتىٰ نهزمهم أو ألقىٰ الله فأكلمه بحجتي، عضُّوا على أضراسكم أيّها الناس، واضربوا في عدوكم، وامضوا قُدُماً ».

يالها من عظمة، إنه يعلن أنه لن يتحدث؛ ولكنه سيفعل، لن ينطق حتى يهزم بني حنيفة وإن لم يكن؛ فإن الموت أحب إليه من الحياة إن هُزِمُوا، ويأمر أصحابه أن يعضوا على أضراسهم، أي: يقاتلون بما يملكون من قوة، وليضربوا عدوهم في قوة، وليمضوا غير خائفين منهم.

أما أبوحذيفة، ذلك البطل الذي كان على أحد جانبي الجيش، بينما زيد بن الخطاب علىٰ الجانب الآخر، كان يحمس أصحابه قائلاً:

« يا أهل القرآن، زيّنوا القرآن بالفعال ».

إنه يطلب من الصحابة، حفظة القرآن الكريم، أن تكون بطولاتهم بقدر روعة كلمات الله التي في صدورهم، ثم قاتل فجاوز المرتدين حتى أصيب.

موقف زيد بن الخطاب:

ونتابع موقف زيد بن الخطاب الذي بدأ المعركة بقتل الرحال بن عنفوة، فإنه حينما شاهد جيش المسلمين يهزم، ويتراجع لم يزد على أن قال – فيما قال–:

لا تحوُّزَ بعد الرّحال.

فما فائدة الحياة بعد أن يُهزم أهل الحق على أيدي أهل الباطل، ودخل في صفوف الأعداء في جرأة وثبات حتى استشهد – رضي الله عنه–.

وكان ممن حضروا هذه المعركة عبدالله بن عمر بن الخطاب، واشتدت المعركة، وقتل من الجانبين عدد كبير، وأصبح صحابة الرسول ﷺ أسوداً في المعركة، ثابتين ثبات الجبال الرواسي.

موقف خالد:

أما أسد الأسود خالد بن الوليد - رضي الله عنه -، فإنه سار يتقدم، يسرع، يهجم على العدو، فتخطف حبات قلوبهم لمرآه، يقاتل بمثل هذه الشراسة، وسار يتقدم، و بنو حنيفة يتفرقون من طريقه، ومَنْ لا يتأخر يقتله حتى وصل إلى مسيلمة منتهزاً أقرب فرصة كي يقتله.

تساوي الجيشين:

وهكذا لم يمضِ وقت طويل حتىٰ كانت المعركة بين الجيشين متكافئة. كان ثبات المسلمين، وقوتهم في قتال أعدائهم كافية كي تجعل المرتدين يتراجعون قليلاً، ولكنهم لم يُهزموا بعد، فكيف السبيل إلى النصر الواضح الذي يحسم المعركة ويجعلها لصالح المسلمين.

كلمة خالد:

رأىٰ خالد أن المعركة صارَتْ سجالاً فمرة على المسلمين، وأخرى على المشركين، فأطلق صيحته عالية مدوية:

«أيها الناس امتازوا، لنعلم بلاء كل حي، ولنعلم من أين نُؤتىٰ».

إنه يطلب من كل جماعة أن تجتمع، تبتعد، وتتفرق عن الجماعة الأخرىٰ، بمعنىٰ أن يتحد المهاجرون تحت رايتهم، وأن يجتمع الأنصار كذلك، وأن تأخذ كل قبيلة من العرب ركناً، نعم إنهم جميعاً مسلمون،ولكنه يريد أن يعرف من أين يُهزم جيش الإسلام، ودعوته ليست دعوة إلى التفرقة، وإنها هي دعوة لكي يظهر كل قوم ما لديهم من قوة.

وإذا كان الطريق الذي اختاره القائد خالد لإظهار هذه القوة هو اجتماع كل جماعة من المسلمين مع بعضهم، فإنها ليست دعوة إلى القبَليَّة القديمة، و إلى تفاخر كل جماعة بفعالهم، بل إنها دعوة إلى القوة، فإن كل جماعة سوف تستحيي أن تظهر ضعيفة، أو أقل صموداً وقوة أمام الأخرى، لماذا؟ لا لتفاخر أو لغيره، فإنهم – جميعاً – قد خرجوا من أجل نصرة دين الله والدفاع عنه بكل ما أُتوا من قوة، أو يقال بعد هذا إن طائفة قد تخاذلت؟!.

استجابة الصحابة لنداء خالد:

واشتدت الحرب، إذ إن الصحابة أقبلوا على بعضهم، فأخذ المهاجرون والأنصار – وهم أهل الحضر– مكاناً، وأخذ أهل البادية – الأعراب القادمين من الصحراء – مكاناً آخر، واشتد المسلمون في قتال عدوهم شدة لم يرها أحدٌ من قبل فيهم، ولكن خالدًا وجد أن بني حنيفة لا يهتمون بمَنْ قُتِلَ منهم، رغم كثرة عدد القتلىٰ، ووقف أحد المرتدين يخطب في بني حنيفة

ويحمسهم كي يستمروا في قتال المسلمين فقال:

«يا معشر بني حنيفة، الآن والله تُستحْقَب الكرائم غير رضيات، ويُنكحن غير خطيبات، فما عندكم من حسب فأخرجوه».

إنه بعد شدة الحرب، وتطاير الرقاب ورؤية الموت المحيط بالجيشين لا يغير من رأيه، يحرض قومه على القتال من أجل الحفاظ على النساء، إنه يطلب إليهم الثبات دفاعاً عن أعراضهم. فما كان من عبدالرحمن بن أبي بكر إلا أن ضربه بالسهم في رقبته فقتله.

خالد يفكر في حيلة:

وأخذ خالد يفكر في حيلة يجلب بها النصر للمسلمين، ويتغلب علىٰ ثبات بني حنيفة، فعرف أن الحرب لن تهدأ إلا حينما يُقتل مسيلمة، فتعمد أن يقف أمام صف جيش الأعداء، ودعا إلىٰ المبارزة، فلا يخرج له واحد من جيش مسيلمة إلا وقتله، حتى اقترب من مسيلمة عندها تذكر حديثاً للرسول ﷺ يقول:

صدق كلمات الرسول ﷺ:

تذكر خالد كلمات رشيفات كان الرسول ﷺ قد قالها وهي:

«إنَّ مع مسيلمة شيطاناً لا يعصيه، فإذا اعتراه أزْبَدَ كأنّ شِدقَّيه زَبيبتَان

لا يهم بخير أبداً إلا صَرفه عنه، فإذا رأيتم منه عَوْرة؛ فلا تُقيلوا العَثْرة».

الرسول ﷺ كان قد أخبر أصحابه بأن هناك شيطاناً ملازماً لمسيلمة لا يتركه أبداً، وهو حينما يجيئه تتغير ملامحه، على أن هذا الشيطان لا يترك شيئاً من الخير يفكر مسيلمة فيه إلا وأبعده عنه؛ لذلك ينصح الرسول ﷺ أصحابه أن ينتهزوا فرصة وقوع مسيلمة، وألا يشفقوا عليه، وهكذا وضح الرسول ﷺ طريقة التخلص من الكذاب، إذًا ينبغي أن يحتال عليه حين يأتيه شيطانه، فيعميه الطمع، هنا يمكن التخلص منه.

اقترب خالد من مسيلمة طلباً للحظة الضعف هذه فيه، فأجاب مسيلمة نداءه لما أحس أنه سيدعوه إلى أمر يحبه، ولم يكن عقله المحدود قد هداه إلى ما يدبره خالد له، فقال خالد في البداية – وهو يريد أن يطمعه حتىٰ يذهب عقله،ويحضر شيطانه –:

«إن قبلنا النصف، فأي الأنصاف تعطينا»؟

وصدَّقَ مسيلمة أن خالداً يعرض عليه الصلح، ويقبل شرطه بأن تكون له نصف الأرض، ولقريش النصف الآخر، وهو يسأله أي نصف يحب أن يحصل عليه؟!.

وأراد مسيلمة أن يجيب، ولكن شيطانه أخذ يشاغله، فأخذ يعرض بوجهه – يلتفت إلىٰ الناحية الأخرىٰ بعيداً عن وجه خالد فلا يراه–،

وشيطانه يزين أن يبتعد بوجهه، فلما التفت للمرة الثانية، هجم عليه خالد حتى أتعبه؛ فوقع، واستطاع بعد عناء أن يهرب مسيلمة من بين يدي خالد ابن الوليد - رضي الله عنه -، فاضطربت بنو حنيفة لمَّا رأت هذا الموقف المخزي الذي يحدُث مع مدعي النبوة منها، وهو لا يحدث مع محارب، فكيف يحدث مع نبي؟!.

بداية هزيمة بني حنيفة:

ومن هذا الموقف بدأت هزيمة بني حنيفة، إذ نادى خالد في المسلمين - بعدما اضطرب المرتدون لرؤية ما حدث لمسيلمة من موقف ذلة -:

«دونكم لا تقيلوهم».

أي: لا تتركوهم الآن، فهو الوقت المناسب لهزيمتهم. وفوجئ بنو حنيفة بالمسلمين يهجمون عليهم، وهم لم يفيقوا من صدمتهم بعد، فأخذوا يهربون، ويتخلون عن مسيلمة وبعدما قام مسيلمة قال واحد من أتباعه له:

«فأين ما كنت تعدنا؟».

إنه يسأله عما وعد به قومه من نصر، وهو ذليل الآن، و بنو حنيفة يتخلون عنه، فلم يستطع أن يجيبه، ولكنه قال:

«قاتلوا عن أحسابكم».

مرة أخرى نفس النبرة، نفس الكلمات التي جعلت مسيلمة وأتباعه يخسرون كل شيء، إنه الحرص على الدنيا، ومتاعها الزائف الزائل.

هروب المرتدين إلى الحديقة:

لم يجد المرتدون وقائدهم مسيلمة مكاناً يهربون إليه من سيوف المسلمين المسنونة، ورماحهم التي لا تخطئ هدفها، وبلغ بهم الخوف مداه، فالتجؤوا إلىٰ حديقة ذات أسوار ضخمة تشبه القلاع والحصون، وخُيِّل إليهم أنها سوف تحميهم.

شجاعة صحابي:

فور دخول بني حنيفة إلى الحديقة أغلقوا عليهم بابها، ووقف المسلمون خارج الأسوار يفكرون، فلم يبق أمامهم سوىٰ أن يقتحموها عليهم، وبذلك يتحقق النصر للمسلمين، لكن كيف لهم بذلك؟ والحديقة ذات أسوار عالية مرتفعة تحول دونهم ودون دخولها؟.

هنا خرج من بين صفوف المسلمين صحابي جليل، بالغ الشجاعة، رأىٰ الموقف الذي هم فيه، وقرر أن يضحي في سبيل تحقيق النصر، إنه البراء بن مالك الذي أمر أصحابه أن يرفعوه حتى أعلىٰ سور الحديقة ثم يلقونه على أهل اليمامة، ورغم أن المخاطرة شديدة، فالبراء سيكون عرضة لسهام الأعداء الكثيرة، وهو بهذا التصرف يعرض حياته للموت، إلا أنه لم يتراجع، بل

تمسك بموقفه، طالباً لإحدىٰ الحسنيين: إما النصر أو الشهادة.

ودهش المرتدون دهشة شديدة، إذ رأوا رجلاً فوق سور الحديقة الذي يحتمون خلفها، وقبل أن تزول عنهم دهشتهم، فوجئوا به يقتحم عليهم الباب، ويلقي بمفاتيحه للمسلمين الواقفين في الخارج.

اقتحام المسلمين للحديقة:

وبذلك فتح المسلمون باب الحديقة، وهجموا على بني حنيفة من جانب، واستطاع وحشي الصحابي الأسمر الشديد القوة أن يقتل مسيلمة الكذاب فخارت قوى المرتدين، وأصبحت ساحة المعركة ممتلئة بالقتلىٰ، حتى قيل إن عدد الذين قتلوا في الحديقة يقارب عشرة آلاف رجلا حتى لقد سميت هذه الحديقة بحديقة الموت(١).

طلب المرتدين الصلح:

وشاء الله أن يحقق نصره أخيراً لجنده المخلصين ، بعدما رأى منهم التضحية العظيمة، والاستبسال في القتال، والشجاعة في مواجهة الأعداء، وما مواقف «زيد» و«قيس» و«البراء بن مالك» عنا ببعيدة، ورأى بنو حنيفة ما أحاط بهم من هزيمة شديدة، ومقتل للرجل الذي ادعىٰ النبوة فيهم فاستسلموا.

وجاء خالد بمجاعة، ذلك الأسير الذي احتفظ به منذ بداية المعركة،

(١) خالد بن الوليد – محمد علي قطب – ص٣٤.

وكان يعرف أنه سوف يحتاجه، جيء بمجاعة وهو مقيد بسلاسل الحديد، بعدما ظن أن النصر سيكون لقومه، وخرج في بداية المعركة بذلك.

وسار خالد يريه جثث القتلىٰ حتىٰ يعثر على مسيلمة وهنا عرض عليه مجاعة الصلح، بعدما تأكد من وجود جثة مسيلمة ضمن جثث القتلىٰ من بني حنيفة.

كان عدد الشهداء من المسلمين قد تجاوز الألف شهيد، ومن بني حنيفة ما يقرب من واحد وعشرين ألفاً، أنهكت الحرب قواهم، فوافق خالد على مصالحتهم على أن يعودوا إلى دين الله، وكان من شروط الصلح أن يحصل المسلمون على بعض خيرات بني حنيفة، ولذلك اعترض بعض المرتدين في البداية ومنهم رجلاً يسمىٰ سلمة بن عُمير، ولكن شدة الخوف من تجدد الحرب مع المسلمين، بعدما ذاقوا حدة سيوفهم جعلتهم يتراجعون، وانتحر سلمة؛ بأن قطع رقبته من شدة القهر.

رسالة ولقاء مع أبي بكر:

وأرسل الخليفة رسالة إلى خالد يأمره بقتل كل من يستطيع القتال من بني حنيفة ولكن صلحهم مع خالد كان قد تمَّ، فأرسل إليه خالد يعلمه بالأمر، وتم حقن دمهم.

(١) تاريخ الطبري – ص٣ – ص٣٠.

وانتهت المعركة بنصر المسلمين بفضل ربهم، وشدة إيمانهم، وقدرة خالد على خوض المعارك، والتدبير، وتذكره كلمات الرسول ﷺ عن مسيلمة، وحسن تنفيذها.

وأرسل خالد جماعة من بني حنيفة إلى أبي بكر الصديق فلما قابلهم قال لهم:

« ما هذا الذي استنزل منكم ما استنزل؟ ».

يسألهم مستقبحاً أن يطيعوا مسيلمة الكذاب كل هذه الفترة، وحتى يحاربوا فتسقط منهم آلاف الرجال، فأجابوه.

- « كان أمراً لم يبارك الله - عز وجل - له ولا لعشيرته فيه ».

إنهم يعترفون بأن طاعتهم لـ « مسيلمة » كان أمراً فاسداً لم يبارك الله فيه، ولا لقومه، وعاد عليه بالقتل، وضياع دنياه وآخرته، وعاد عليهم بالضياع، والقتل والتمزق.

فسألهم أبو بكر:

« ما الذي دعاكم به؟ ».

يريد أن يسمع منهم بعض الكلام الذي كان مسيلمة يدعي أنه قرآن فقالوا:

«كان يقول: يا ضفدع نقي نقي، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون».

فقال أبو بكر:

«سبحان الله! ويحكم! إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر، فأين يذهب بكم؟».

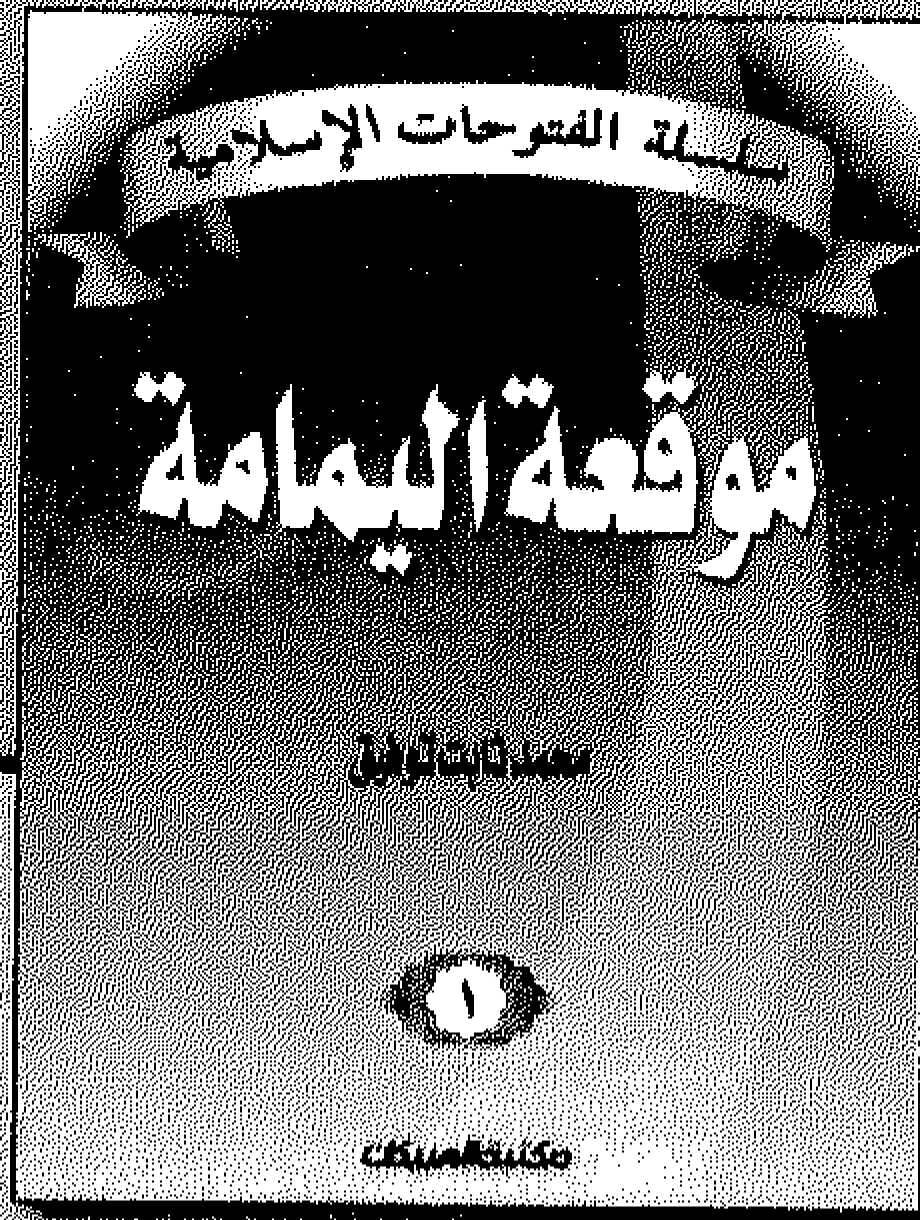
ولما استمع أبو بكر هذه الكلمات قال: إنها لا تصدر عن قريب عاقل، ولا بعيد[1] مجنون.

نهاية متوقعة:

ورغم صعوبة وشدة تلك المعارك إلا أنها انتهت بنهايتها المتوقعة، رغم كثرة عدد المرتدين في موقعة اليمامة وإصرارهم على كلمات مسيلمة الباطلة، والتفاف بعض المنافقين حوله من مثل الرحال الكافر الذي شهد له ظلماً بالنبوة، رغم كل هذا إلا أن الله لا ينصر الباطل أبداً، مادام أهل الحق يقاومونه، ويضحون في سبيل هزيمته، وهذا ما كان بأمر الخليفة العظيم أبي بكر، وبقيادة خالد للجيش، كانت أول فتوحات المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ وإعادة المرتدين إلىٰ الإسلام.

(١) تاريخ الطبري: ج٣ ص ٣٠.

المحتويات



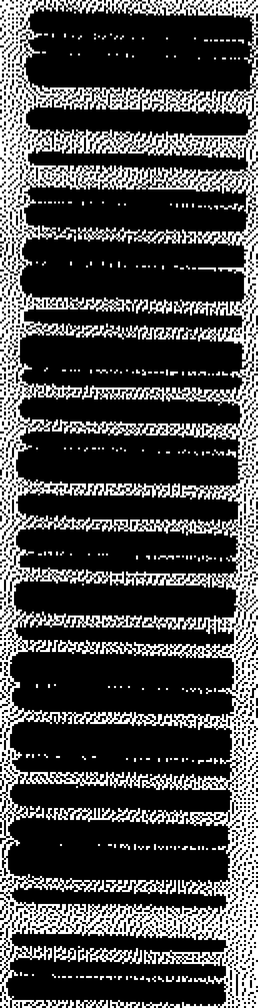
قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون رسالة الإسلام جامعة لما سبقها من الرسالات، ناسخة لها؛ ومن هنا كان إبلاغها إلى الناس كافة يحتاج إلى كثير من المشاق والصعاب لنشر دين الحق.

انطلقت جيوش المسلمين إلى خارج شبه الجزيرة حاملة رسالة الإسلام رسالة النور والهداية إلى الناس جميعاً من منطلق أن المسلمين يحبون الخير لكل الناس كما يحبونه لأنفسهم؛ لذا فهم يدعونهم إلى الإسلام، وهمهم الأول الدعوة لا القتال.

لقد توجهت جيوش الفتوحات الإسلامية إلى كل البقاع التي كانت تستطيع أن تصل إليها حتى انتشر الإسلام من الصين إلى حدود فرنسا، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وعم نور الإسلام الدنيا كلها.

ومكتبة العبيكان إذ تسعد بنشر هذه المجموعة مر الإسلام إنما تعرض صفحات مشرقة من تاريخ الجهاد ليقف شباب هذه الأمة على بطولات أسلافهم في س دعوة دينهم؛ ليكونوا قدوة له هاد.

والله من وراء القصد





ردمك: ٢-٩١٧-٢٠-٩٩٦٠

